الملخص

وصف الإمام مكي بن أبي طالب الحروف العربية وصفاً دقيقاً ـــ في عصره الذي خلا من أجهزة تُظْهر مكان إخراجها وولادتها ـــ في حال إفرادها، أو تركيبها، وتأثر الحروف المجاورة بعضها ببعض قوة وضعفاً، ونراه يرتبها على هذا المنطق ـــ القوة والضعف ـــ ترتيباً تنازلياً دقيقاً فجعل القوي أولاً، ثم يليه الأقل قوة، وهكذا إلى أن يصل إلى الحرف الأضعف من الضعيف، ورتب الحروف أيضاً من حيث المخرج من داخل الجهاز النطقي للإنسان ـــ أول نقطة من الداخل إلى خارجه ـــ الشفتين والأنف ثم نراه ـــ رحمه الله تعالى ـــ يصف الخطأ الذي قد يخطئ به البعض في تلاوة القرآن الكريم، ويبين سببه، وكيفية الاحتراز منه، واصفاً بدقة كيفية إخراجه بيُسر وسهولة، مع إعطائه الصفات التي لا يمكن أن تنفك عنه؛ إن أراد قارئ القرآن الكريم أن يصل إلى الجودة في قراءة القرآن الكريم.

ثم نراه ـــ رحمه الله تعالى ـــ يصف الحرف بأكثر من صفة، ويعطيه أكثر من لقب، وما هذا إلا لشيء كائن فيه لا ينفك عنه[1].

والحقيقة أن مكياً استوعب علوم سابقيه في اللغة، وأصوات القرآن الكريم، وما وقف عليه من أخطاء القرَّاء ـــ قراء القرآن الكريم ـــ آن قراءتهم عليه، أو سماعه منهم، أو ما جادت به قريحته.

ـــ سلط البحث الضوء على الدقة التي امتلكها الإمام مكي في وصف الحروف العربية آن إفرادها، أو تركيبها، فهو ـــ مكي ـــ يؤكد ما وصل إليه العلماء المعاصرون من دقة في تحديد المخرج، وما يستتبع ذلك من صفات كائنة في ذات الحرف لا تنفك عنه.

ركز البحث على مزية من مزايا الكتاب العزيز ـــ أصوات القرآن الكريم الخاصة ـــ وهي: ترتيل القرآن الكريم بالطريقة المتتابعة المتوارثة من لدن نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

[1] فقلت: فجمع ما تفرق في مصنفات سابقيه، مع إضافته للكثير من قضايا التجويد .

قال الإمام مكي: ((ورأيت شرح هذا وبيانه متفرقاً في كتب المتقدمين، والمتأخرين، غير مشروح للطالبين، قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب، وجمعه في تفسير الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها، وبيان قوتها وضعفها واتصال بعضها ببعض، ومناسبة بعضها لبعض، ومباينة بعضها لبعض ؛ ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة في لطف قدرة الله الكريم ؛ وعوناً لأهل تلاوة القرآن على تجويد ألفاظه، وإحْكام النطق به، وإعطاء كل حرف حقه من صفته، وإخراجه من مخرجه، باقياً ذلك على مرور الأزمان، وتعاقب الأعصار، ينتفع به المقرئ، والقارئ، والمبتدئ، والمنتهي، ويتذكر به أهل الفهم والدراية، ويتنبه به أهل الغفلة والجهالة)) .

الرعاية:٥١ ، ص : ١٩ من هذا البحث .

Abstract

The Imam Maki Bin Abi Taleb described the Arabic letters with an accurate description (in this age without devices that show where was he born and came from) in case it was singular, or structure, and the strengthening or weakening effect of the neighboring letters on each other, and we see him arrange them on this logic (the strength and weakness) an accurate arrangement so he made the stronger first, and the less strong next, and so on until he gets to the weakest than the weakest letter, he also did arrange the letters by their outlet in the human's phonatory system (lips and nose) – then we see him – God rest his soul – describes the mistake that some people do while reading the Holy Quran, and explains its cause, and how to avoid it, accurately describing how to easily and effortlessly pronounce it, with him giving the specifications that can't be separated from it; if the Holy Quran reader wanted to reach the quality in reading the Holy Quran – then we see him – God rest his soul – describes the letter with more than one adjective, and gives it more than one name, and that is one thing might be in it and does not separate from it. The truth is that Maki understood previous sciences in the language, and the Holy Quran's sounds, and what he came across in the readers' readings (reading the Holy Quran) when they read for him, or him listening to them, or what came across his mind. – The research focused on Imam Maki's accuracy in describing the Arabic letters once it's singularized, or being structured – this accuracy does not get any less at any case from the West's accuracy now with its modern devices and discoveries that the human could see the organ while it pronounces and utters the letter – and what follows that in adjectives as it is in the letter and does not separate from it. – The research focused on a one feature of the precious

book – the special sounds of the Holy Quran – which are: chanting the Holy Quran in the successive and successional way since it came down till God inherits the earth and what's on it.

مفهوم التجويد عند الإمام مكي بن أبي طالب

ودلالته لتلاوة القرآن الكريم في ضوء كتاب الرعاية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فإن مصطلح (التجويد) بمعنى العلم الذي يعنى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق بدقة لم يظهر إلا في حدود القرن الخامس الهجري، ولم يعرف كتاب ألف في هذا العلم قبل القرن الثالث، أو الرابع الهجري، ومعنى هذا أن علم التجويد تأخر في الظهور علما مستقلا بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن، وعلوم العربية أكثر من قرنين من الزمان[1] على الرغم من تطبيقه عملياً.

ولعل أول من صنف في هذا العلم ـــــ أقصد:علم التجويد ـــ هو الإمام أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني (ت: ٣٢٥هـ) ولم يستخدم هذا المصطلح ـــــ أقصد: مصطلح التجويد ـــ ولا أياً من مشتقاتها واستخدم كلمة (**الحُسْنِ**) بدلا منها وذلك في قصيدته الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية [2] التي كان لها أثر واضح في جهود اللاحقين في علم التجويد. فهم بين مقتبس منها، أو مستشهد بأبياتها، وبين معارض لها، أو شارح موضح لمعانيها[3].

"أيا قارئَ القرآنِ **أَحْسِنِ** أَداءَه"

وهذا يدل على أن مصطلح (التجويد) لم يكن مشهورا حينذاك [4].

ولم يذكر ابن النديم المتوفى ـــ على الأرجح ـــــ سنة٣٨٥هـ ـــ في كتابه (الفهرست) أيّ كتاب يحمل اسم التجويد، أو يمكن أن يكون موضوعه هذا العلم بالرغم من ذكره لمئات الكتب المؤلفة في علوم القرآن، وهذا يدل على أن علم التجويد كان لا

---

(١) غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، دار عمار للنشر والتوزيع. عمان. الأردن (الطبعة الثانية لسنة ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م)، ص،١٥.

(٢) أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني (ت ٣٢٥هـ)، القصيدة الخاقانية، وعدد أبياتها (٥١ بيتاً) قام بتحقيقها أ. د. غانم قدوري الحمد ضمن بحث بعنوان (علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى) مجلة الشريعة جامعة بغداد العدد السادس ١٤٠٠ هـ: ١٩٨٠م.

(٣) محمد بن محمد ابن الجزري(ت:٨٣٣ هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، طبعة سنة ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م، ج٢ ، ص٣٢١.

(٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص، ١٧.

يزال في القرن الرابع الهجري يخطو خطواته الأولى.

ـــ وربما يكون أول من استعمل لفظ التجويد وجعله مصطلحاً لإتقان تلاوة القرآن الكريم كما أنزل هو: الإمام أبو الحسن علي بن جعفر بن سعيد السعيدي (كان حياً سنة: ٤١٠ هـ) [١] فقد قال في أول كتابه المسمى (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) حيث قال: "سألتني .... أن أصنف لك في تجويد اللفظ بالقرآن" [٢].

والحق أن القرن الخامس الهجري يمثل التاريخ الحقيقي لظهور المؤلفات في علم التجويد، حتى إننا نجد أعظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت في هذا القرن ومن أشهرها كتاب (الرعاية) لمكي (ت٤٣٧هـ) الذي أشار إلى أن أحداً من المتقدمين لم يسبقه إلى تأليف مثل هذا الكتاب[٣]، وكان في هذا العصر إمام علم القراءات الإمام أبو عمرو الداني فشرح القصيدة الخاقانية للإمام أبي مزاحم الخاقاني سالف الذكر، وأكد ما ذهب إليه إمام المجودين الإمام مكي حيث قال: "أما بعد فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا، ومقرئي دهرنا من تجويد التلاوة وتحقيق القراءة، وتركهم استعمال ما ندب الله تعالى إليه، وحث نبيه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأمته عليه، من تلاوة التنزيل بالترسل والترتيل أن أعملت نفسي في رسم كتاب خفيف المحمل، قريب المأخذ في وصف علم الإتقان، والتجويد وكيفية الترتيل، والتحقيق من السبيل التي أداها المشيخة من الخلف عن أئمة السلف"[٤].

ثم نراه يصنف كتاب (التحديد في الإتقان والتجويد) [٥] والذي أشار فيه إلى ما يقرب من إشارة الإمام مكي في كتابه [١].

---

[١] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار دار الكتب العلمية الطبعة، (الأولى) ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م، ١ج،٢٠٧، غاية النهاية في طبقات القراء، ١ج، ص٥٣١(مرجع سابق)، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي،٧ج،٥٢ ، محمد محمد محمد سالم محيسن(المتوفى: ١٤٢٢هـ)، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ. دار الجيل، بيروت لسنة١٤١٢ هـ : ١٩٩٢م.(الطبعة الأولى)، ٢ج،١٢٨.

[٢] الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص،١٨(مرجع سابق) .

[٣] مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها، تحقيق د/ أحمد حسن فرحات دار عمار، الأردن، عمان، ١٤٠٤هـ : ١٩٨٤م (الطبعة الثانية) ص،٥٢ .

[٤] عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق أ. د غانم قدوري الحمد. طبعة دار عمار. عمان. الأردن، سنة ١٤٢١ هـ: ٢٠٠٠م، ص، ٦٦.

[٥] المصدر السابق.

هذا في الوقت الذي كان للُّغويين والنحاة دراسات في الأصوات العربية ابتداء من القرن الثاني الهجري، وأبرز هذه الدراسات ما كتبه:

- الخليل بن احمد (ت١٧٠هـ) في مقدمة كتاب العين خصوصاً عن مخارج الحروف وصفاتها[٢].

- سيبويه (ت١٨٠هـ) في (الكتاب) وخاصة في باب الإدغام [٣].

- المبرد (ت٢٨٥هـ) في كتاب (المقتضب) في باب مخارج الحروف، وأبواب الإدغام[٤].

- ابن دريد (ت٣٢١هـ) في مقدمة جمهرة اللغة[٥].

- ابن جني (ت٣٩٢هـ) في سر صناعة الإعراب[٦].

وكان قصدي من هذا العرض التاريخي الموجز من خلال الحديث عن تاريخ علم التجويد، أن أبرهن على تأخر ظهور الدراسات الصوتية التي شكلت هذا العلم من الإشارات الصوتية التي سبقت هذه الجهود عند علماء اللغة.

بعد ذلك قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين، ثم صاغوا منها هذا العلم الجديد ـــ أقصد الناحية العلمية ـــ الذي اختاروا له اسم (علم التجويد)، حيث واصلوا أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة اللغوية، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة سامقة من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

---

(١) ينظر: الدراسات الصوتية غانم قدوري الحمد، ص١٧، ١٨ .

(٢) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، معجم العين ، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، مقدمة المحقق ١ج، من ١٠ ص: ١٨، مقدمة المؤلف :١ج، من ص ٤٧: ٥٩.

(٣) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)الكتاب ، تحقق: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة. (الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) ٤ ج، من ص٤٣١: ٤٧٧.

(٤) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المقتضب تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت، عالم الكتب ص١ج، ص١٩٢: ٢٢٤.

(٥) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة خصوصاً أَبْوَاب الْحُرُوف الَّتِي يقوم بعضُها مقَام بعض، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط سنة ١٩٨٧م (الطبعة: الأولى) ٣ج، ص ١٣١٣: ١٣٢٢.

(٦) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ). سر صناعة الإعراب خصوصاً باب " أسماء الحروف وأجناسها، ومخارجها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة، وفروعها المستقبحة، وذكر خلاف العلماء فيها مستقصى مشروح، بيروت لبنان دار الكتب العلمية ط سنة ١٤٢١هـ :٢٠٠٠م (الطبعة: الأولي) ١ ج،ص٥٥: ٥٨، ونفس المصدر باب: الحروف على مراتبها في الاطراد ١ ج، ص٥٩: ٨٢.

هدف الدراسة:

ما يريد البحث تأكيده أن حروف العربية محفوظة الأصول، معروفة الأنساب[١].

والحقيقة أن القراءة القرآنية هي التي دعت إلى ظهور علم الأصوات الذي نضج عند العرب فالمقرئ كان مضطراً إلى إخراج الحروف مخرجاً فصيحا وكان مضطراً – أيضاً – إلى معرفة المدّ وقوانينه، وإلى أحكام الهمز ومعرفة لهجات العرب فيه، كما كان عليه أن يعرف ضوابط الإدغام والإظهار والقلب والغنّة [٢] .

فعلماؤنا المتقدمون عرفوا لكل حرف صوته صفة ومخرجًا، مثلما عرفوا له إيحاءه دلالة ومعنى،

وأن وصفهم لجهاز النطق ووظائف أعضائه اتسم بالدقة والاستقصاء، وأن علم الأصوات اللغوية إنما بني على مباحثهم في التجويد [٣].

خطة البحث:

يتألف هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين ، وخاتمة.

المقدمة :

١ــ تعطي فكرة عامة عن مصطلح التجويد، ونشأته، والحاجة إلى تَعَلُّمِه وتَعْلِيمه؛ خدمة للقرآن الكريم .

٢ ـــ نشأة علم الأصوات على يد اللغويين واستفادة علماء التجويد من مصنفاتهم.

٣ ـــ بداية التصنيف في هذا العلم.

٤ــ أول من أطلق عليه هذا المصطلح.

٥ ـــ الطفرة التي حدثت في علم التجويد بظهور بعض المصنفات في هذا المجال ومن أعظمها كتاب الرعاية لمكي بن أبي طالب.

التمهيد:

ويعطي للقارئ فكرة عامة عن علم الأصوات، وأهميته في خدمة اللغة، والقرآن المجيد.

- المبحث الأول: مفهوم تجويد القرآن عند مكي، وتحته أربعة مطالب.
- المبحث الثاني: الرعاية (وبعض الوقفات) وتحته ثمانية مطالب.
- ثم الخاتمة، وأهم نتائج البحث.

التمهيد :

أ) نبذة عن علم الأصوات:

ونعني به دراسة الأصوات اللغوية من ناحية وصف مخارجها، وكيفية حدوثها، وصفاتها المختلفة، التي يتميز بها صوت عن صوت، كما يدرس القوانين التي تخضع لها

---

[١] صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط سنة ١٩٩٤م. (الطبعة: ١٢) ص، ٢٧٦.

[٢] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي أصول علم العربية في المدينة. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة الثامنة والعشرون، العدد١٠٦، ط سنة ١٤١٨هـ :١٩٨٨م ، ص، ٢٩٠.

[٣] دراسات في فقه اللغة ص: ٣٦٤.

هذه الأصوات في تأثر بعضها ببعض، عند تركبها في الكلمات أو الجمل[١].

وينقسم إلى عدة فروع منها:

١ـــ علم الأصوات النطقي:

يقوم أساسًا على تحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تشكل الصوت. إنه يعطينا وصفًا موضوعيا لهذه الأصوات وكيفية إنتاجها، ويصنفها تصنيفًا ضيقا أو واسعا[٢].

٢ـــ علم الأصوات السمعي:

ويعنى بطريقة التقاط الأذن للصوت، وتحليلها من قِبل المُستَقْبِل، فيدرس وظائف مكونات جهاز السمع عند الإنسان مع ما قد يصيبها من اختلال وراثي، أو طارئ[٣].

٣ـــ علم الأصوات الفيزيائي:

ويُعنى بدراسة الذبذبات الصوتية التي تنتقل من جهاز النطق إلى جهاز الاستقبال ، وهي قناة الاتصال بين المتكلمين، ويمد التحليل الفيزيائي عالم الأصوات بالحقائق الفيزيائية للكلام، وقد توصل علماء الأصوات إلى نتائج مذهلة في هذا المجال انعكست بشكل إيجابي على وسائل الاتصال المعاصرة[٤].

ب) **من فوائد علم الأصوات:**

١ـــ تعلم التجويد: وهو النَّمَط الموحد لجميع القراء [٥] .

وتحديد مَخْرَج كل صوت، وصفاته، وَتَأْثِيْرِهِ وَتَأَثّره بما قبله، وما بعده.

وبيان ما تميز به القرآن الكريم من أسلوب أَدَائِيّ، وما يجوز في العربية، ولا يجوز في القرآن، وغير ذلك من قضايا يتناولها البحث إن شاء الله تعالى [٦].

٢ـــ تعلم علم القراءات القرآنية بشكل عام:

يلزمه تعلم الأصوات .إذ كيف ينطق (الإمالة، أو تسهيل الهمزة بينها وبين حركتها، أو الإشمام، أو الروم ... إلخ) [٧].

---

(١) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط لسنة ١٤١٧هـ : ١٩٩٧م، (الطبعة: الثالثة) ص، ١٣.

(٢) أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة، عالم الكتب ط سنة ١٤١٩هـ:١٩٩٨م، (الطبعة الثامنة).

(٣) جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، تحقيق محمود السعران، دار النهضة العربية ،(الطبعة: الأولى) ، محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٧ م، (الطبعة الثانية).

(٤) جون ليونز اللغة وعلم اللغة،.

(٥) كما بينه الإمام مكي في الرعاية ينظر: ص، ٦ ،٧ .

(٦) عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجى القاهرة، ط سنة١٤٠٨هـ :١٩٨٧ م (ط: الأولى) ص،٢٢١: ٢٦٥، عبد البديع النيربانى، الجوانب الصوتية فى كتب الاحتجاج للقراءات ، دارالغوثانى للدراسات القرآنية، دمشق سوريا، ط سنة:١٤٢٧هـ: ٢٠٠٦م، (ط: الأولى)، ص،١٧٨: ٢٩١، سعيد أحمد العنتباوي، زِيْنَةُ الأَدَاء شرح حِلْيَة القراء، دار الفرقان، ط سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (ط/ الأولى) ص،٥.

(٧) كان شيوخنا ـــ رحمهم الله تعالى، وأطال في عمر من بقي منهم ـــ يعتمدون التلقين والترديد، وما

الرعاية[١]

بين يدي البحث:

هيأ الله ـــ جل جلاله ـــ لخدمة كتابه من كل جيل رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وتلاوة كتابه؛ فجعلهم أهله وخاصته، فتناقلوا قراءاته من الصدور إلى الصدور ، وحرصوا على تلقيه بنصه ولفظه كما تلقاه أمين السموات والأرض عن أمين السموات، وأدّوه إلى طلابهم كما أدّاه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إلى أصحابه ـــ رضي الله عنهم ـــ واتصل سند المتأخرين بأسانيد المتقدمين، وسيبقى هذا السند ممتداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن المعلوم أن قراءة القرآن وتجويده من أفضل القربات إلى الله ـــ جل جلاله ـــ فكان إمُامنا واحداً من علماء الإسلام الذين أفنوا أعمارهم فيها: شطراً في الطلب والتحصيل، وشطراً في التدريس والإملاء والكتابة والتصنيف ؛ نشراً للعلم وقياماً بحقه، وأداء لأمانة يرجون فيها ثواب الدار الآخرة؛ فأورثونا ـــ ونعم الإرث ـــ تراثاً عظيماً غنياً وأصيلاً في شتى ميادين المعرفة، وخاصة علم تجويد القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم تجويد القرآن عند مكي

المطلب الأول: اسم الكتاب (ودلالة عنوانه):

سمى الإمام مكي بن أبي طالب كتابه هذا بـ "**الرعاية، لتجويد القراءة، وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف، ومخارجها، وصفاتها، وألقابها، وتفسير معانيها، وتعليلها، وبيان الحركات التي تلزمها**".

يقول الأستاذ الله الدكتور/ عبد ربيع محمود [٢] ((لقد وضح الشيخ ـــ يَقْصِد: مكياً ـــ هدفه، وبين غرضه في ترجمة كتابه حيث بين أنه يريد أن يحقق ببحثه هذا ـــ الذي طالت صحبته له ـــ فكانت نحو ثلاثين سنة الوصول إلى القراءة الجيدة، والتلاوة الحق لكتاب الله، والمحافظة على هذا المستوى الأدائي المتوارث عن سيدنا رسول

زالت تلك الطريقة هي المعتمدة عندهم، واعتمدناها لدقتها وانضباطها من ناحية، والبركة التي وجدناها في اتباعهم من ناحية أخرى.

(٢٧) أهدف من وراء هذا البحث: إلقاء الضوء على هذا الكتاب الأعظم في مجاله.

[٢] هو أستاذي وشيخي: فقد دَرَّسني (في كلية القرآن الكريم المباركة) في السنة الثانية من الدراسات العليا، وقد حفاني برعايته، ولم يبخل عليَّ من علمه في أي وقت طلبته، ولولاه ما عَلِمْتُ كثيراً من القضايا الصوتية من بداية إنتاج الصوت إلى انتقاله، وإدراكه، فترجمته. هذا: وقد رأيت له كرامات، وأكثر ما في هذا البحث مستخلص إما من كتاب كتبه (أصوات العربية، والقرآن الكريم. منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب)، أومن محاضراته التي ألقاها عَلَيَّ وعلى زملائي، أو من سؤال عبر الهاتف، أو جلسة تفضل عليّ بها ـــ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى ـــ آمين.

الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ويحدث هذا بالمراقبة الصادقة لكل ما يمت بصلة لذلك الأداء القرآني، حتى لا ينحرف به أحد ـــ الأداء القرآني كما أنزل ـــ أو يضل فيه عن السبيل، وتلك حقاً مقتضيات الرعاية)) [١].

ثم يسأل [٢] ((فهل كان من وراء هذا الجمع ـــ بين التجويد والتحقيق من ناحية، والقراءة والتلاوة من ناحية أخرى ـــ تحقق لهدف، أو إشارة إلى غرض؟

فيجيب بقوله: نعم. وهو: أن رعايته هذه لا تتم إلا إذا راعى أمرين مهمين مترابطين هما تجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ومقتضى هذا أنه يعني بالقراءة شيئاً غير التلاوة، وبالتجويد معنى غير التحقيق)) [٣] ولكي نعرف دقة الإمام مكي – في تحديده لغرضه، وقوة نظره، وصدق تحليله في بحثه ودراسته ؛ أوجب علينا البحث أن نعرف **صورة النطق التي يريدها مكي لقراء القرآن (القراءة: والتلاوة، التجويد: والتحقيق)** [٤].

١ـــــ الفرق بين القراءة والتلاوة.

يذكر التهانوي:

- **أن القراءة:** هي :عند القراء ((أن يقرأ القرآن، سواء كانت القراءة تلاوة، بأن يقرأ متتابعاً، أو أداءً بأن يأخذ من المشايخ))[٥].

- **أما التلاوة:** فإنه يقول عنها: ((التِّلاوة بالكسر: قراءة القرآن متتابعاً كالأوراد، والأسباع، والدراسة))[٦].

والفرق بينها وبين الأداء، أن الأداء الأخذ عن المشايخ، والقراءة تطلق عليهما، فهي: أعم منهما[٧].

وقد أشار الراغب: من قبل إلى ما بين القراءة والتلاوة من فرق حيث أشار إلى **أن**

---

[١] ينظر: أصوات العربية والقرآن الكريم ص، ٩٣، ومحاضرات ألقاها لطلبة الدراسات العليا كلية القرآن الكريم. الفرقة الثانية .

[٢] الدكتور/ عبد الله ربيع. المصدر السابق، ص، ٩٤. يقول الإمام مكي: فمن ائتم بكتابي هذا في تجويدألفاظه وتحقيق تلاوته، ممن سلم من اللحن والخطأ، وضبط روايته التي يقرأ بها، قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار ومرور الأزمان، مقام المقري الناقد البصير الماهر النحرير.

[٣] الدكتور/ عبد الله ربيع. المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٤] يقول الإمام مكي: ((فمن ائتم بكتابي هذا في تجويد ألفاظه وتحقيق تلاوته، ممن سلم من اللحن والخطأ، وضبط روايته التي يقرأ بها، قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار ومرور الأزمان، مقام المقري الناقد البصير الماهر النحرير)).
ينظر: الرعاية ص، ٥٣ .

[٥] محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان بيروت، ط سنة:١٩٩٦م(الطبعة: الأولى)، ٥ج،ص١١٥٨.

[٦] المعنى الجامع: المتابعة.

[٧] المرجع السابق ١ج،ص١٧١.

القراءة: ((ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل...[١] **وأن التلاوة:** أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، لا يقال: تلوت رقعتك، وإنما في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك إتباعه كما قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾[٢] و﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٣] و﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾[٤])) [٥].

٢ــــ الفرق بين التجويد والتحقيق.

يقول الإمام ابن الجزري: ((**فالتجويد:** مصدر من "جَوَّدَ: تَجْوِيداً، والاسم: الجَوْدَة: ضد الرداءة "، يقال: جَوَّدَ فلان في كذا: إذا فعل ذلك جيداً. فهو عندهم: عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق، ومعناه: انتهاء الغاية في التصحيح، وبلوغ النهاية في التحسين...)) [٦].

ثم يقول عنه: ((فالتجويد هو: حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو: إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها مراتبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط، ولا تكلف...)) [٧].

أما **التحقيق:** فهو من:

((حَقَقْتُ الأمْرَ أحُقُّه حَقّاً، وتَحَقَّقْتُه: تَيَقَّنْته وَهُوَ: الحَقُّ وَجمعه حُقُوق، وحَقَائق، وحَقَّ الأمْرُ: يَحِقُّ ويَحُقُّ حَقّاً وحُقُوقاً وأحْقَقْتُه: صَيَّرته حَقّاً، وحَقَقْتُه، وحَقَّقْتُهُ: صَدَّقْته، وحَقَقْتُ الأمْرَ أحُقُّه حَقّاً، وأحْقَقْتُه: كُنْتُ مِنْهُ على يَقِين))[٨]، وَيُقَالُ: ((مَا لِي فِيكَ حقٌّ، وَلَا وَلَا حِقاقٌ أَيْ: خُصومة))[٩].

فهو إذن: المبالغة في الإتيان بالشيء على أصله، وطبيعته من غير زيادة فيه، ولا نقص منه.

ويعرف الإمام ابن الجزري التحقيق عند علماء التجويد بقوله: ((أَمَّا التَّحْقِيقُ فَهُوَ مَصْدَرٌ مَنْ حَقَّقْتُ الشَّيْءَ تَحْقِيقًا إِذَا بَلَغْتُ

---

[١] الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط/ محمد خليل عيتاني. دار المعرفة، بيروت. لبنان، ص، ٤٠٠.

[٢] [الكهف: ٢٧] .

[٣] [لمائدة: ٢٧] .

[٤] [لصافات: ٣] .

[٥] المفردات ص: ٨٢ .

[٦] شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، النشرفي القراءات العشر ، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) المطبعة التجارية الكبرى،١ج،ص،٢١٠ .

[٧] النشر ١ج،ص٢١٢.

[٨] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

[٩] أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى محمد بن مكرم بن على، (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب(٤٩/١٠)، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة،١٤١٤ هـ.

يَقِينَهُ، وَمَعْنَاهُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْإِتْيَانِ بِالشَّيْءِ عَلَى حَقِّهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ فِيهِ وَلَا نُقْصَانٍ مِنْهُ. فَهُوَ بُلُوغُ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَالْوُقُوفُ عَلَى كُنْهِهِ وَالْوُصُولُ إِلَى نِهَايَةِ شَأْنِهِ، وَهُوَ عندهم ـــــ أي: علماء التجويد ـــ عِبَارَةٌ عَنْ إِعْطَاءِ كُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ[1] مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ[2]، وَتَحْقِيقِ الْهَمْزَةِ[3]، وَإِتْمَامِ الْحَرَكَاتِ[4]، وَاعْتِمَادِ الْإِظْهَارِ[5] وَالتَّشْدِيدَاتِ، وَتَوْفِيَةِ الْغُنَّاتِ، وَتَفْكِيكِ الْحُرُوفِ، وَهُوَ: بَيَانُهَا وَإِخْرَاجُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ بِالسَّكْتِ وَالتَّرَسُّلِ وَالْيُسْرِ وَالتُّؤَدَةِ[6]، وَمُلَاحَظَةُ الْجَائِزِ مِنَ الْوُقُوفِ، وَلَا يَكُونُ غَالِبًا مَعَهُ قَصْرٌ، وَلَا اخْتِلَاسٌ وَلَا إِسْكَانٌ مُحَرَّكٍ، وَلَا إِدْغَامُهُ[7]..... وَهُوَ الَّذِي يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَحَبُّ الْأَخْذُ بِهِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَجَاوَزَ فِيهِ إِلَى حَدِّ الْإِفْرَاطِ[8] مِنْ مِنْ تَحْرِيكِ السَّوَاكِنِ، وَتَوْلِيدِ الْحُرُوفِ مِنَ الْحَرَكَاتِ، وَتَكْرِيرِ الرَّاءَاتِ، وَتَطْنِينِ النُّونَاتِ بِالْمُبَالَغَةِ فِي الْغُنَّاتِ)) [9]

إلى غير ذلك مما تنفر منه الطباع، وتَمُجُّه القلوب، والأسماع.

النتيجة :

وعلى ذلك يكون معنى قراءة القرآن محققه: بلوغ يقين تلك القراءة، والوقوف على كُنْهِهَا، والوصول إلى نهاية شَأْنِها، وطبيعتها المُتَلَقّاه من الوحي المنزل على أشرف المرسلين محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وهو: يُعَدُّ طريقاً من طرق القراءة، ولوناً من ألوان التجويد، فهو: أخص من التجويد من ناحية، ومعناه اللغوي

---

(1) ما يجب له.

(2) أي: حقه المنوط به حسب القراءاة. فورش، وحمزة يقرآن المتصل مثل جاء، والمنفصل مثل بما أنزل بمقدار ثلاث ألفات فلا يجب أن يزيد القارئ على هذا المقدار، أو ينقص منه، وابن كثير يقرأ المتصل بمقدار ألفين، والمنفصل بمقدار ألف واحد، كذا بقية القراء لكل منهم مقداره في المد لايجوز الزيادة فيه، ولا النقصان منه.

ينظر: النشر ج١، ص ٣١٣، وما بعده.

(3) ليس المقصود أنها تُقْرَأ ـــ أي : الهمزة ـــ عند المبدلين لها ـــ مثل: سأل ـــ بهمزة محققه إذا قرؤوا بمرتبة التحقيق، بل المقصود إظهارها وبيانها؛ لصعوبة النطق بها.

(4) بيانها.

(5) يقصد: حروف الكلمة، وحركاتها، وليس الإظهار في نحو ((قد دخلوا)) ونحوه.

(6) قوله: بَيَانُهَا....إلخ.

فيه شرح السابق وبيانه.

(7) قلت: القارئ المكين إذا أراد أن يتمهل ويقرأ بالتحقيق اختار قراءة ورش، أو حمزة؛ لأن فيها إطالة المدود، وإتمام الحركات، وإذا أراد الإسراع قرأ بقراءة أبي عمرو، أو أبي جعفر؛لأن فيها قصر المدود، واختلاس، وتسكين المحرك.... إلخ.

(8) الزيادة.

(9) النشر ١ ج، ص ٢٠٥ ، محمد مكي نصر، ونهاية القول المفيد، تصحيح الشيخ /علي الضباع، مطبعة الحلبي سنة ١٣٤٩هـ ص، ١٤: ١٥، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري محمد بن محمد بن محمد، (المتوفى: ٨٥٧هـ)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية – بيروت، تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

والاصطلاحي من أُسسه، وشروطه من ناحية أخرى.

فمكي ـــ رحمه الله تعالى ـــ كان على وَعْي كامل بالقضايا الصوتية في القرآن الكريم عندما جعل غاية القراءة التجويد، وغاية التلاوة التحقيق.

((فالتلاوة: لون من القراءة يدخله عنصر المتابعة، والتجويد: بلوغ النهاية في تصحيحه؛ ليكون مجموع ذلك سبيلاً إلى المستوى الأعلى من الأداء الصوتي للقرآن الكريم))[١].

ويدل هذا على قمة الدقة لدي مكي، ومدى استيعابه لأصوات العربية عامة، وما تميز به القرآن من خصائص حتى في عنوان رسالته هذه بقوله: ((وتحقيق لفظ التلاوة))

فأضاف كلمة (لفظ) التي أتصور أنه قصد بها قراءة القرآن تلاوة.

((وهي: المتابعة بالاقتداء في الحكم، أو العلم والعمل)) كما أشار إليه الراغب[٢].

المطلب الثاني مقدمته الرائعة :

يؤكد الشيخ مكي ما ذهب إليه في تسمية كتابه، وهي: معونة أهل تلاوة القرآن على تجويد ألفاظه، وإحكام النطق به، وإعطاء كل حرف حقه من صفته، وإخراجه من مخرجه.

فقال: ((فأذكر الحروف واحداً بعد واحد على رُتْبَةِ المخارج مع جملة من صفته، ثم نذكر مع كل حرف ألفاظاً من كتاب الله تعالى ـــ جل ذِكْرُه ـــ تُنَبِّهُ على تجويد لفظ ذلك الحرف فيها، وفي مثلها ممن وقع ذلك الحرف فيها[٣]، مقارناً لغيره، ويجب أن يُتَحفَّظ ببيانه لئلا يدخله خلل، أو نقص، أو زيادة ؛ لِعِلَلٍ تَحْدُث فيه. نذكر تلك العِلَلَ مع كلِّ فصل منه)) [٤]

ـــــ ثم نراه ـــ رحمه الله تعالى ـــ يحفز قارئ القرآن الكريم على قراءة كتابه ـــ الرعاية ـــ وجعله إماماً له؛ لأنه إذا فعل ذلك قام له هذا الكتاب مقام الشيخ النحرير، والمقرئ المتقن، وكيف لا؟

---

(١) د/ عبد الله ربيع. أصوات العربية ص، ٩٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص،٨٢ .

(٣) أي: في كلمته الموجود ذلك الحرف فيها، من عامل ضعف أو قوة؛ فيتأثر باختلاف الحرف المجاور له، فعلى سبيل المثال: يكون الحرف قوياً ويجاوره حرف ضعيف، فإن لم يتحفظ القارئ يَجُرُّ الحرفُ الضعيفُ الحرفَ القويَّ فيكون القوي ضعيفاً مثله، وهذا لا يجوز في القرآن إلا برواية، وإن جاز في اللغة مثل:" أحطت " إن لم يتحفظ القارئ ذهبت صفة الجهر والإطباق من الطاء، وأيضاً اختلاف الحركة المحرك بها الحرف، مثل:

" قَرْية "مسكنة الراء حكمها التفخيم؛ وإن لم يكن لها حكم في نفسها؛ لذلك أخذت حكم فتحة القاف التي قبلها وهو: التفخيم، وهذا نقوله أيضاً في مثل " فِرْعون " يجب ترقيق الراء لما أسلفناه؛ فيتأثر الحرف باختلاف الحرف المجاور له، ومن باب أولى يتأثر بحركته هو مثل " قَرْية " مفتوحة القاف أعلى تفخيماً من " مستقِيم " مكسورة القاف، وهكذا فعل الحركات المحرك بها الحرف ضعفاً وقوة، أو مجاورة الساكن لحركة قوية أو ضعيفة، ويصدق عليه أيضاً مجاورة الحروف بعضا لبعض.

(٤) الرعاية ص،٥١.

وقد استودعه صفات كل حرف وما يستحق من صفة لازمة له لا ينفك عنها ـــ أي" : الصفة ـــ ولا تنفك عنه ـــ أي: الحرف ـــ وبعد ذلك نراه يشرح باستفاضة ما يطرأ على الحرف من عوامل ضعف أو قوة حال تركيبه في الكلمة، فينبه القارئ على كل ذلك؛ ((ليكون على تحفظ، وحينئذ يسلم من التقصير في لفظه بالقرآن، ويأمن من التحريف والتبديل، ويجري على أصل صحيح، ولفظ فصيح)) [1].

ـــ ثم يبين الإمام مكانة كتابه العظمى ـــ الرعاية ـــ عبر العصور الآتية، والأزمان القادمة، إذ هو: ـــ الكتاب ـــ بمكانة شيخ متقن متيقظ يُنَبِّه قارئَ القرآن إن أخطأ، ويبين له الصواب وكيفية إخراج ذلك الحرف على الوجه الصحيح مع إعطائه صفاته الواجبة له، ويقرّ ـــ أي: كتاب الرعاية ـــ أيضاً صواب المحسن، وهو: معه ـــ أي: الكتاب مع القارئ ـــ يستدعيه في الوقت الذي يريده لا يمتنع منه أبداً.

قال ـــ رحمه الله تعالى ـــ ((فمن ائتم بكتابي هذا في تجويد ألفاظه، وتحقيق تلاوته، سلم من اللحن والخطأ، وضبط روايته التي يقرأ بها، قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار، ومرور الأزمان مقام المقرئ الناقد البصير الماهر النحرير)) [2].

ونرى الإمام ابن الجزري يؤكد ما ذهب إليه الإمام مكي بقوله:

وَهُوَ إِعْطَاءُ الحُرُوفِ حَقَّهَا ... مِنْ صِفَةٍ لهَاَ وَمُسْتَحَقَّهَا[3]

فالغاية إذن من كتابه ـــ الرعاية ـــ هي تمكين القارئ من جودة القراءة، وحسن الأداء، وعصمة لسانه من اللحن عند تلاوته للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: هدف الكتاب:

بَيَّنَ الإمام مكي هدفه بجلاء من تأليف رعايته في ثنايا كتابه ـــ في مثل قوله: ((فقس على ما ذكرت لك من هذه الأصول، وخذ نفسك في تلاوتك باستعمالها، يصر لك طبعاً وسجية، وتحسن ألفاظك بذلك، وتقرأ على أصل صواب)) [4] ـــ فهو إذن لا يريد هذه الصورة المتكلفة التي يلجأ إليها بعض القراء، ظانين أنهم يحققون بها النطق الجيد، والأداء الصحيح المتوارث من الحضرة النبوية، وما تنبهوا أنهم بفعلهم هذا خرجوا عن صفة التّلاوة المشروعة، ودخلوا في جملة التّكلّف المذموم.

والتي حذر منها الإمام ابن الجزري:

---

(1) الرعاية ص،٥٢.

(2) الرعاية ص، ٥٣.

(3) الرعاية ص، ٥٣. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ،(بيت رقم:٨٣)، المحقق: محمد تميم الزغبي، دار الهدى، جدة، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ : ١٩٩٤م.

(4) الرعاية ص، ٢٣٢.

بقوله: ((فليس التجويد بِتَمْضِيْغ اللسان، ولا بِتَقْعِير الفم، ولا بِتَعْوِيْج الفك، ولا بتَرْعِيْد الصوت، ولا بِتَمْطِيْط الشد، ولا بِتَقْطِيْع المد، ولا بتَطْنِيْن الغُنَّات، ولا بِحَصْرَمِة القراءات قراءة تنفر عنها الطِّباع، وتَمُجُهَا القلوب، والأسماع)) [١].

إنه يريد تلك الصورة الطبيعية المعبرة الخالية من التعسف والتكلف، والمبالغة، والتَّنْطِيْع والتي وصفها ابن الجزري بقوله:

مُكَمَّلاً مِنْ غَيْرِمَا تَكَلُّفِ ... بِاللُّطْفِ فِى النُّطْقِ بِلاَ تَعَسُّفِ[٢]

وهي: ((القراءة السهلة العذبة، الحلوة اللطيفة، التي لا مَضْغَ فيها ولا لَوْك، ولا تعسف ولا تكلف، ولا تصنع، ولا تنطع، ولا تخرج عن طباع العرب، وكلام الفصحاء، بوجه من وجوه القراءة والأداء)) [٣].

ويؤكد الإمام حمزة بن حبيب الزّيّات ـــ أحد أئمّة القراءة السّبعة ـــ على قضية الاتباع وعدم المبالغة وهو ممّن اشتهرت قراءته بالتّحقيق في الأداء فقال: ((إنّ لهذا التّحقيق منتهى ينتهي إليه، ثمّ يكون قبيحا، مثل البياض له منتهى ينتهي إليه، وإذا زاد صار برصاً، ومثل الجعودة لها منتهى تنتهي إليه، فإذا زادت صارت قططاً)) [٤]

مكي إذن لا يقصد بعمله ـــ الرعاية ـــ سوى تحقيق تلك الصورة الثانية، التي تتفق مع الطبع، وتميل إليها القلوب، والأسماع، ولا سبيل إلى هذه الصورة المثالية المتوارثة، إلا إذا صار النطق سليماً، والأداء جيداً، دون تكلف ظاهر، أو تعسف مشين، وفي سبيل الوصول إلى تلك السجية، والملكة قدم لها مكي الكثير، وكرر على مسامع تلاميذه هذا المعني.

---

[١] والمعنى ترعيد الصوت: رفع الصوت ثم انخفاضه فجأة كأنه صوت رعد، والمعنى تَمْطِيْط الشد تطويلها حتى تخرج عن طبيعتها.....

ينظر: النشر ٢١٣/١.

[٢] مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ،(بيت رقم:٨٣).

[٣] النشر(٢١٣/١).

[٤] أبو بكر بن مجاهد البغدادي أحمد بن موسى بن العباس التميمي (المتوفى: ٣٢٤هـ) كتاب السبعة في القراءات السّبعة(ص: ٧٧)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ط/ الثانية، ١٤٠٠هـ.

المبحث الثاني: الرعاية (وبعض الوقفات) :

المطلب الأول: سبب تأليف كتاب الرعاية:

قال مكي: ((وإني لما رأيت هذه الحكمة البديعة، والقدرة العظيمة في كل هذه الحروف[١] التي نظمت[٢] ألفاظ كتاب الله ـــ جل ذكره ـــ ووقفت على تصرفها في مخارجها، وترتيبها عند خروج الصوت بها، واختلاف صفاتها، وكثرة ألقابها[٣]، ورأيت شرح هذا وبيانه متفرقاً في كتب المتقدمين، والمتأخرين، غير مشروح للطالبين[٤]، قويت نيتي في تأليف هذا الكتاب، وجمعه في تفسير[٥] الحروف ومخارجها، وصفاتها وألقابها[٦]، وبيان قوتها وضعفها، واتصال بعضها ببعض، ومناسبة بعضها لبعض[٧]، ومباينة[٨] بعضها لبعض ؛ ليكون الوقوف على معرفة ذلك عبرة[٩] في لطف قدرة الله الكريم ؛ وعوناً لأهل تلاوة القرآن على تجويد ألفاظه، وإحْكام النطق به، وإعطاء كل حرف حقه من صفته، وإخراجه من مخرجه، باقياً ذلك على مرور الأزمان، وتعاقب الأعصار، ينتفع به المقرئ، والقارئ، والمبتدئ، والمنتهي، ويتذكر[١٠] به أهل الفهم

---

(١) يقصد: "من حيث مخرجها، وصفاتها، وتركيبها، وطريقة آدائها ،.....".

(٢) وُضِعَت في مكانها الائق بها، كما في نظم الشعر توضع الكلمات، والجمل بطريقة، ووزن معين لا تخرج عنه.

(٣) أي: عند علماء اللغة، والقراءات.

(٤) وهنا بيَّن الإمام غرضه من تأليف كتابه ـــ الرعاية ـــ وهو: جمع هذا العلم الذي كان مفرقاً، ثم شرحه شرحاً لا يخفى على القارئ، فما بال المقرئ.

(٥) يقصد: شرح الحروف وبيانها.

(٦) أي: اللقب الذي لقبها به علماء فن التجويد؛ لصفة كإنة فيه كـ(الحرف المكرر) يقصدون به الراء، ..... .

(٧) بالمجاورة.

(٨) يقصد: الصفة وضدها كالجهر والهمس، والشدة والرخاوة،..... .
والْمُبَايَنَةُ الْمُفَارَقَةُ، وَتَبَايَنَ الْقَوْمُ تَهَاجَرُوا.
ينظر: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)،مختار الصحاح
(ص،٤٣)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا،ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(٩) أي : مفسرة متدبرة. قال الخليل في العين: ((عَبَّرَ يُعبِّر الرؤيا تَعبيراً، وعَبَرَها يَعْبُرُها عَبْراً، وعِبارة: إذا فسّرها)) وقال الجوهري نقلاً عن الأصمعي: ((عَبَرْتُ الكتاب أَعْبُرُهُ عَبْراً، إذا تدبّرتَه في نفسك ولم تَرْفَعْ به صوتك)).
ينظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)،كتاب العين(١٢٩/٢)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، وأبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٧٣٢/٢)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ:١٩٨٧ م.

(١٠) ضد النسيان، وفيه معنى المداومة.

والدراية، ويتنبه به أهل الغفلة والجهالة)) [١].

ويمكن أن نجمل سبب تأليفه لكتاب الرعاية في النقاط الآتية:

أ ـــ جمع المتفرق في كتب التجويد التي سبقته، والتي عاصرته.

بـ ـــ شرح وبيان هذه المادة التي جُمِعَتْ.

جـ ـــ تحديد مخرج الحرف على وجه الدقة، كذا صفاته الازمة له، والأخرى ـــ أي: الصفات ـــ التي تنفك عنه في حالات.

د ـــ ألقاب الحروف، وبيان سبب تسميت العلماء لهذه الحروف بهذه الألقاب.

هـ ـــ معونة أهل القرآن على النطق الصحيح المتوارث لكتاب الله ـــ عز وجل .

و ـــ أن يكون هذا الكتاب بمثابة شيخ متقن لا يمل منك مهما طالت صحبتك له.

المطلب الثاني: شدة الحاجة إلى هذا العلم النظري؛ لتطبيق تلاوة القرآن وإقامة حروفه كما أنزل بلسان فصيح:

الإمام مكي قارئ ماهر، ومقرئ نحرير لبيب ذكي؛ يأتي إليه القرّأ من كل فج عميق فالمصيب ـــ أقصد: الذي يقرأ القرآن قراءة صحيحة ـــ يقرأ عليه؛ فيعلم يقيناً أنه أخرج الحروف من مخارجها اللائقة بها، وأعطاها صفاتها الازمة والعارضة، أما المخطأ فينهه على خطأه، ويشرح له السبب الذي أدى به للوقع في خطأه هذا ، ثم يقوم بشرح المخرج الصحيح، والصفات الواجبة، ثم يقرأ هو ـــ مكي ـــ اللفظ الذي أخطأ فيه القارئ فيطبقه له عملياً، وكذلك يفعل في كتاب الرعاية.

١ ـــ يذكر الخطأ وسببه (مخرجاً، وصفة).

٢ ـــ يبين كيفية الاحتراز من هذا الخطأ.

٣ ـــ يصف النطق الصحيح مع بيان مخرجه، وصفاته.

حيث يقول: ((كل ما ذكرته لك من هذه الحروف، وما لم نذكره لم أزل أجد الطلبة تَزِلُّ بهم ألسنتهم إلى ما نبهت عليه، وتميل بهم طباعهم إلى الخطأ فيما حذرت منه، فبكثرة تتبعي لألفاظ الطلبة بالمشرق، والمغرب، وقفت على ما حذرت منه، ووصيت به من هذه الألفاظ كلها، وأنت تجد ذلك من نفسك، وطبعك)) [٢].

ثم يقول في **الحاجة لهذا العلم النظري:** الذي يرشد القارئ إلى قراءته العملية التطبيقية لقراءة القرآن الكريم : ((والمقرئ إلى جميع ما ذكرنا في كتابنا هذا أحوج من القارئ ؛ لأنه إذا عَلِمَهُ عَلَّمَهُ، وإذ لم يعلمْه لم يعلمه، فيستوي في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ، ويضل القارئ بضلال المقرئ، فلا فضل لأحدهما على الآخر)).

---

[١] قلت: حتى المتصفون بهذين الصفتين ينتفعون بكتابه هذا، عجيب حكمك هذا يا مكي.
الرعاية ص،٥١.

[٢] الرعاية ص،١٧٠.

ثم **يؤكد أولوية تعلم هذا العلم** بقوله: ((معرفة ما ذكرنا لا يسع من انتصب للإقراء جَهْلُهُ، وبه تكْمُل حاله، وتزيد فائدة القارئ الطالب، ويلحق بالمقرئ)) [1].

المطلب الثالث: رد شبهة مثارة

القراءة بالطَبْعِ والسَّجِيْة والعَادَة

فيقول: ((وليس قول المقرئ والقارئ: أنا أقرأ بطبعي، وأجد الصواب بعادتي في القراءة لهذه الحروف من غير أن أعرف شيئاً مما ذكرته بحجَّة، بل ذلك نقص ظاهر فيها؛ لأن من كانت هذه حجته، يُصِيْبُ ولا يَدْرِي، ويخطئ ولا يدري، إذا اعتمد على طبعه، وعادة لسانه، يمضي به أينما مضى به من اللفظ، ويذهب معه أينما ذهب، ولا يبني على أصل ولا يقرأ على علم، ولا يُقْرِئ عن فهم ..... إذ هو بمنزلة من يمشي في ظلام في طريق مشتبه فالخطأ والزلل منه قريب، والآخر بمنزلة من يمشي على طريق واضح معه ضياء؛ لأنه يبني على أصل، وينقل عن فهم، ويلفظ عن فرع مستقيم وعلة واضحة، فالخطأ منه بعيد)) [2].

ويمكن أن نجمل هذا المطلب في ثلاثة نقاط:

١ ـــ إحكام القارئ النطق بكل حرف على حدته مُوفٍ حقه.

٢ ـــ إحكام القارئ النطق بكل حرف حالة التركيب.

قال الإمام ابن الجزري:((لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الإفراد وذلك ظاهر فكم ممن يحسن الحروف مفردة، ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق؛ فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب))[3].

٣ ـــ زيادة تحفظ القارئ في بعض الحالات المخصوصة حالة التركيب:

ومنه قول مكي:((ويجب على القارئ أن يتحفظ بإظهار الهمزة إذا انضمت مفردة، أو انكسرت؛ لأنها في نفسها ثقيلة ، والضمة والكسرة ثقيلتان؛ فيصعب على اللسان اجتماع ثقلين فالتحفظ بإظهار اللفظ بها واجب لا سيما إذا كان بعدها كسرة، أو قبلها، أو يكون قبلها ضمة وهي مضمومة نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ﴾[البقرة: ٢٤] ﴿وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤][4])).

وقال أيضاً ((وإن تكررت التاء في كلمة وجب أن يبين التكرير بياناً ظاهراً نحو: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾[النحل: ٢٨] ﴿تَتَجَافَىٰ﴾[السجدة:١٦] ﴿تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤] ....وكذلك إن

---

[1] الرعاية ص، ٢٦.

[2] الرعاية ص، ٢٧.

[3] النشر ١/ ٢١٤، ٢١٥.

[4] الرعاية ص،١٤٩.

تكررت ثلاث مرات كان البيان لذلك آكد نحو قوله: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتۡبَعُهَا﴾ [النازعات : ٦،٧][(١)])).

وأكد هذه القضية ـــ التحفظ ـــ ابن الجزري حتى لا يقع القارئ في خطأ عند تلاوته لآي الذكر الحكيم

فقال:((وإذا سبقت الطاء التاء وكانت ساكنة أدغمت الطاء فيها، فإذا نطقت بها لخصت صوت الطاء مع الإتيان بصوت الإطباق، ثم تأتي بالتاء مرققة على أصلها، وهذا قليل في زماننا، ولا يقدر عليه إلا الماهر المجود، ولم أر أحداً نبه عليه، وذلك نحو قوله: {بسطت إلي}، و {فرطت}، و {أحطت}[(٢)])).

وقال في النشر: ((الهمزة إذا ابتدأ بها القارئ من كلمة فليلفظ بها سلسة في النطق سهلة في الذوق، وليتحفظ من تغليظ النطق بها نحو: (الحمد) (الذين) (أعنذرتهم)، ولا سيما إذا أتى بعدها ألف نحو (آتى) و (آيات) و (آمّين) فإن جاء حرف مغلظ كان التحفظ آكد نحو: (الله) (اللهم)، أو مفخم نحو (الطلاق) (اصطفى) (وأصلح)، فإن كان حرفا مجانسها أو مقاربها كان التحفظ بسهولتها أشد وبترقيقها أوكد نحو: (اهدنا) (أعوذ) (أعطى) (أحطت) (أحق) فكثير من الناس ينطق بها في ذلك كالمتهوع[(٣)])).

المطلب الرابع: رتب حروف المعجم بحسب مخرج كل حرف

فبدأ من داخل الجهاز النطقي إلى خارجه[(٤)]

قال ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ((فأذكر الحروف واحداً بعد واحد على رتبة المخارج[(٥)] مع جملة من صفاته[(٦)]، ثم نذكر مع كل حرف ألفاظاً من كتاب الله تعالى [(٧)] ـــ جل ذكره ـــ تنبيهاً على تجويد لفظ ذلك الحرف فيها ـــ وفي مثلها مما وقع ذلك الحرف فيها ـــ مقارناً لغيره، ويَجِب أن

---

(١) الرعاية ص،٢٠٥.

(٢) شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) ، التمهيد في علم التجويد ص، ١١٣، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(٣) النشر ١/ ٢١٦.

(٤) فبدأ بباب الهمز(ص،١٤٥)، ثم باب الهاء(ص،١٥٥)، ثم باب الألف(ص،١٦٠)....وكانت الباب الأخير باب الواو(ص،٢٣٥) ؛لأنه آخر الحروف خروجاً من الجهاز النطقي.

(٥) ففي باب الهمز يقول مكي:
الهمز أول الحروف خروجاً، وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر(ص،١٤٥).

(٦) ففي باب الهاء يصفها مكي بأنها: ((حرف خفي ضعيف، وأنها من الحروف المهموسة، ومن الحروف الرخوة، ولولا الهمس والرخاوة اللذان في الهاء مع شدة الخفاء لكانت همزة، وكذلك لولا الجهر والشدة اللذان في الهمزة لكانت هاءً إذ المخرج واحد)).
الرعاية(ص،١٥٥).

(٧) يقصد: تطبيق ما يقول على آيات من القرآن الكريم.

يتحفظ ببيانه لئلا يدخله خلل، أو نقص، أو زيادة؛ لِعِلَل تحدث فيه، نذكر تلك العلل مع كل فصل منه)) [1]،[2].

المطلب الخامس: الأصول العامة عند القراء (التجويد)

حرص الإمام مكي في هذا الكتاب (الرعاية) على عدم ذكر الاختلاف، وأشار إلى ذلك في المقدمة حيث قال: ((ولست أذكر في هذا الكتاب إلا مالا اختلاف فيه عند أكثر القراء[3])).

وقد شرح مراده من هذه العبارة أكثر من مرة في وسط الكتاب، وأن كتابه هذا كتاب اتفاق، وليس كتاب اختلاف.

وذلك مثل قوله: ((وقد تقدم ذكر القراء[4]، واختلافهم في الهمز وتليينه، وحذفه، وإبداله وتحقيقه، وغير ذلك من أحكامه في هذا الكتاب، فلا حاجة بنا إلى ذكر ذلك، وكذلك ما شِبْهَهُ، فليس هذا كتاب اختلاف، وإنما هو كتاب تجويد ألفاظ، ووقوف على حقائق الكلام منها مما لا اختلاف في أكثره))[5].

كذلك بين أن كتب الاختلاف كتب رِوَايَة، وأن كتابه هذا كتاب دِرَايَة ؛ ولهذا فهو: يحيل دائماً إلى كتبه الأخرى في كل ما يتعلق بالاختلاف، وذلك كقوله: ((وقد ذَكَرْتُ في

---

[1] ففي باب العين يقول مكي: ((فيجب على القارئ أن يتحفظ بلفظ العين ويعطيها حقها من الحلق، فإن تكررت كان بيان ذلك آكد؛ لقوتها وصعوبتها على اللسان نحو قوله تعالى: ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥] ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧] ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الكهف: ٩٠] ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[الأعراف: ١٠٠]، وشبه ذلك، وذلك البيان لهما لازم، والتحفظ بإظهارهما واجب؛ لصعوبة اللفظ بحرف الحلق منفرداً، فإن تكرر كان أصعب؛ لأن اللفظ بالحرف المكرر كان كالمشي المقيد.... وذلك ثقيل)).
الرعاية(ص،١٦٢).

[2] الرعاية ص،٥١.

[3] الرعاية ص، ٥٢.

[4] أي: في الأصول: ويقصد بها القواعد المطردة التي تنطبق تنطبق على كل جزئيات القاعدة، والتي يكثر دورها ويتحد حكمها مثل: الاستعاذة، البسملة، الإدغام الكبير، هاء الكناية، المد والقصر، الهمزتين من كلمة ومن كلمتين، الإمالة، إلخ. وهي القواعد الكلية لكل قارئ أو راو.
ينظر: علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة مصر، سنة النشر غير معروفة، (الطبعة الأولى)، ص،١٠، الفرشية: وهي الكلمات القرآنية بعينها التي يقل دورها وتكرارها من حروف القراءات المختلف فيها، وكيف قرأها كل قارئ، وسميت فرشاً لأنها تفرش في التعليم على مواضع الآيات، ولا تندرج تحت أصول جامعة.
ينظر: محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دمشق، دار الفكر،ط سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، (الطبعة: الأولى)، ص ،٣٢، أحمد محمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، عمان، الأردن، دار عمار، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (الطبعة: الأولى) ص، ٧٧.

[5] الرعاية ص، ١٥٤.

غير هذا الكتاب[١] ما تدغم فيه الذال، وغيرها من الحروف مما اختلف القراء فيه[٢]، فأغنى عن ذكر ذلك في هذا الكتاب، فتلك الكتب كتب تُحْفَظ منها الرواية المختلف فيها[٣]، وهذا الكتاب يحكم فيه لفظ التلاوة التي لا خلاف فيها، فتلك كتب رواية، وهذا كتاب دِرَايَة، فافهم هذا))[٤].

وكذلك يقول: ((أما التفخيم في الراء المفتوحة والمضمومة، والترقيق فيهما، واختلاف القراء في ذلك وأصل ورش فيهما[٥]، فقد أفردنا له كتاباً قبل هذا)) [٦].

وقال: ((فيجب على كل من قرأ بأي حرف كان من السبعة أن يأخذ نفسه بتحقيق اللفظ وتجويده، وإعطائه حقه على ما نذكره مع كل حرف في هذا الكتاب، ويكون على تَحَفُظ مما ننصه له[٧]؛ فيسلم حينئذ من التقصير في لفظه، ويأمن من التحريف في قراءته، ويجري في قراءته على أصل صحيح، ولفظ فصيح، فيكون الغالب على قراءته السلامة من الخلل، والبعد من الزلل[٨])).

---

[١] مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧)،التبصرة في القراءات السبع، تحقيق الدكتور المقرئ: محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية، الهند، ط/ الثانية١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.

[٢] ينظر: التبصرة:ص،٣٥٠:٣٦٥.

[٣] أي: بين القراء.

[٤] الرعاية ص، ٢٢٥.

[٥] التبصرة: ص،٤٠٧: ٤١١.

[٦] يقصد: التبصرة كما أسلفنا.

ينظر: الرعاية ص، ١٩٧.

[٧] وذلك من بداية باب الهمز(ص،١٤٥)، إلى باب الواو(ص،٢٣٥).

[٨] الرعاية ص، ٥٢.

المطلب السادس: أولويته وسبقه إلى هذا العلم (التجويد):

قال: "وما علمت أن أحداً سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف، وألقابها، ومعانيها، ولا إلى ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى، والتنبيه على تجويد لفظه، والتحفظ به عند تلاوته"[١].

المطلب السابع: مدة تصور الكتاب (الرعاية) حتى إخراجه:

قال: ((ولقد تصور في نفسي تأليف هذا الكتاب، وترتيبه من سنة تسعين وثلاثمائة، وأخذت نفسي بتعليق ما يخطر ببالي منه في ذلك الوقت، ثم تركته إذ لم أجد معيناً فيه من مؤلف سبقني بمثله قبلي، ثم قوى الله النية، وحَدَّدَ البصيرة في إتمامه بعد نحو ثلاثين سنة فسهل الله عز وجل أمره، ويسر جمعه، وَمَنَّ عليَّ بتأليفه، وعسى أن يكون ذلك سبباً لأجر، وَسُلَّماً لِذُخْرٍ، جعله الله لوجهه خالصاً)) [٢].

المطلب الثامن: فائدة كتاب الرعاية:

١ـــ معونة أهل القرآن على تجويد ألفاظه، وإحكام النطق به، وإعطاء كل حرف حَقَّهُ من صفاته، وإخراجه من مخرجه، إذ أنه يجب على كل من قرأ بأي حرف كان من السبعة أن يأخذ نفسه بتحقيق اللفظ، وتجويده، وإعطائه حقه.

٢ـــ السلامة من التقصير في لفظه (القرآن الكريم) ويأمن ـــ أي: القارئ ـــ من التحريف في قراءته.

٣ـــ أن يجري ـــ أي: القارئ ـــ في قراءته على أصل صحيح، ولفظ فصيح.

٤ـــ الوصول إلى الصورة المثالية المتوارثة، وهذه الصورة لا يمكن الوصول إليها إلا إذا صار النطق السليم، والأداء الجيد طبعاً للقارئ، أو الناطق، وسَجِيَّة أو ملكة يصدر عنها الصواب والجيد دون تكلف ظاهر، أو تعسف مُشِيْن.

قال مكي: (فقس على ما ذكرتُ لك من هذه الأصول، وخذ نفسك في تلاوتك باستعمالها، يَصِر لك طبعاً، وسَجِيَّةً، وتُحَسِّن ألفاظك بذلك، وتقرأ على أصل، وصواب)[٣].

وصواب)[٣].

ثم نراه يؤكد هذه الفوائد التي تحصل لقارئ كتابه (الرعاية) المُطَبِق لها بقوله: (... فمن ائتم بكتابي هذا في تجويد ألفاظه، وتحقيق تلاوته، سَلِمَ من اللحن والخطأ، وضبط روايته التي يَقْرَأ بها، قام له هذا الكتاب على تقادم الأعصار، ومرور الأزمان مقام المقرئ الناقد البصير الماهر النِّحْرِيْر)[٤].

---

[١] المصدر السابق.

[٢] الرعاية ص، ٥٣.

[٣] أصوات العربية والقرآن الكريم ص،٩٦ ، الرعاية ص، ٥٣.

[٤] الرعاية ص، ٥٣.

الخاتمة :

إذا كان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من حدد مخارج الحروف بدقة وبين صفة كل حرف، فالجامع الأول لأصوات القرآن الكريم[١] ـــ على وجه اليقين ـــ هو الإمام مكي بن أبي طالب بلا منازع.

ـــ مصطلح التجويد تأخر إلى القرن الخامس الهجري ، من حيث تعريفه بهذه اللفظة ـــ التجويد وتعني : تلاوة القرآن كما أنزل بهذه الطريقة المُنَزَل بها ، والمطبقة عملياً فور نزول الوحي حتى الآن ـــ هي هي ـــ وإلى قيام الساعة.

ـــ الأجهزة الحديثة ما هي إلا آلات تُظْهر مخرج الصوت ، وتصفه وصفاً دقيقاً على أعضاء النطق فقط ، ولكنها لا تستطيع أن تبين صحة الحرف من عدمه إلا إذا غذيت مسبقاً بالنُطْق الصحيح للحروف ، والكلمات مفردة كانت ، أو مركبة .

نقول أخيراً مع الاعتراف بدقة المعاصرين في هذا المجال ـــ علم الأصوات ـــ وما اخترعوه من أجهزة تظهر بدقة كيفية إنتاج الحرف، ومخارجه، وانتقاله، ثم سماعه، وترجمته، لا يستطيعون ـــ حقيقة ـــ وصف الحروف وصفاً دقيقاً بمعزل عن الأقدمين؛ لأنهم غير متأكدين من أنهم الآن ينطقون بهذه الحروف صحيحة إلا بالرجوع أولاً إلى وصف الأقدمين لها، وتميزها عن غيرها كما نطق بها الأقدمون.

ـــ جمع الإمام مكي بن أبي طالب أصوات القرآن الكريم، ممن سبقه، وأضاف على ما سبقه ملاحظاته على قرَّاء القرآن الكريم الذين قرأوا عليه ووقع منهم بعض الأخطاء، أو الهفوات، وبَيَّن سبب هذه الأخطاء ، وحذَّر منها ، وبين كيفية علاجها .

ـــ يكاد يكون وصف مكي للحرف ومخرجه، وصفاته ـــ هو هو ـــ وصف المتأخرين بعد استواء علم الأصوات الحديث ومنهجه عند الغرب مما يدل على دقة متناهية، وذكاء خارق، مع رسوخ في العلم ـــ في هذا المجال على الأقل ـــ منقطع النظير .

ـــ إقامة مدرسة تجويدية علمية في المغرب العربي، وبلاد الأندلس في القرن الخامس الهجري على قواعد نظرية سامقة، وذلك بعد أن استوعبت ما سبقها، ثم أضافت إليه الكثير والكثير، كاشفة عن الأصوات الخاصة بقراءة القرآن الكريم بعد أن كشف المشارقة عن أصوات العربية .

---

[١] الرعاية ص، ٥٣. ويؤكد هذا ما قاله مكي: ((وما علمت أن أحداً سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب، ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه....)).
يراجع المطلب السادس من المبحث الثاني، والرعاية ص، ٥٢.

ب – أهم التوصيات :

ـــــ أقترح أن تعقد دورات علمية لقراء القرآن الكريم في علم الأصوات العربية؛ يعرفون من خلالها مخرج كل حرف، وصفاته؛ ليكونوا بعيدين عن الزلل في القرآن العظيم.

ـــــ أقترح أن تشكل لجنة من علماء التجويد في كل بلد من بلاد الإسلام فَيَجْمَعون كل مُؤَلَف في علم التجويد من بداية التدوين فيه حتى الوقت الحاضر جمعاً ، وحصراً إن أمكن ثم تشكل عدة لجان؛ لبيان قيمة هذا المؤلف ويكون في بداية الكتاب؛ فيكون لقارئ القرآن كَشَّاف يبين له مسبقاً قيمة هذا المؤلف قبل أن يتعلم ما فيه من علم، وعمل .

ـــــ كما أقترح أن تشكل لجنة من القراء الكبار الذين لهم اليد الطولى في قراءة القرآن الكريم وإقرائه؛ فيختارون قرَّاء للقرآن الكريم قد أجمعوا على إتقانهم ـــــ تجويداً ، وصوتاً ، وإتقاناً ، وأداءً ، وحفظاً ـــــ فتكون هذه بمثابة الشهادة التي تقدم إليهم،ـــ وتكون بعنوان ـــــ مثلاً ـــــ القراء المتقنين المهرة المجمع عليهم[1].

---

[1] قلت: فلربما لم يفعله الأولون ؛ لبعد المسافات؛ وتفرق الصحابة في البلدان، ثم علماء التابعين، والأئمة المجتهدين...إلخ؛ وصعوبة جمعهم في مكان واحد في وقت واحد مع اختلاف الرؤى، والمذاهب مع إقرارنا أن لهم قصب السبق، إتقانا، وأداءً ومعرفة في كل علم، وفن.

فهـــــرس المصـــــادر والمراجـــــع

١. أبو بكر بن مجاهد البغدادي أحمد بن موسى بن العباس التميمي (المتوفى: ٣٢٤هـ) كتاب السبعة في القراءات السّبع، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ط/ الثانية، ١٤٠٠هـ.

٢. أبو بكر بن الحسين بن علي البيهقي (ت:٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر أباد الدكن الهند. ط سنة ١٣٥٥هـ (الطبعة الأولى).

٣. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين – بيروت، ط سنة ١٩٨٧م (الطبعة: الأولى).

٤. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.

٥. أبو العباس المعروف بالمبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت، عالم الكتب.

٦. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقق: د مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٧. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٨. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، سر صناعة الإعراب. دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط سنة١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م (الطبعة: الأولي).

٩. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ)، فضائل القرآن ، حقق أصله وخرج حديثه أبو إسحاق الحويني الأثري. ١٤١٦هـ. مكتبة ابن تيمية. القاهرة، (ط/ الأولى).

١٠.أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني (ت ٣٢٥هـ)، القصيدة الخاقانية. تحقيق أ. د. غانم قدوري الحمد ضمن بحث بعنوان (علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى) مجلة الشريعة جامعة بغداد العدد السادس (١٤٠٠ هـ: ١٩٨٠م).

١١.أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي بيروت، ط سنة٢٠٠١م (الطبعة: الأولى).

١٢.وأبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٧٣٢/٢)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ :١٩٨٧ م.

١٣.أبو الوفا عبد الله بن علي، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء. المنصورة، ط سنة ١٤٢٤ هـ : ٢٠٠٣ م، (الطبعة: الثالثة).
١٤.أحمد محمد أبو زيتحار، لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن، المقررعلى تخصص القراءات. الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ط سنة ١٣٩٧هـ :١٩٧٧م.
١٥.أحمد محمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات الأردن، عمان، دار عمار،ط سنة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، (الطبعة: الأولى).
١٦.أحمد مختار عمر، أسس علم اللغة.عالم الكتب، الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ:١٩٩٨م .
١٧.أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (الطبعة: الأولى).
١٨.التهانوي محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، كشاف اصطلاحات الفنون . تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، ط سنة ١٩٩٦م، (الطبعة: الأولى) .
١٩.جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، (الطبعة: الأولى).
٢٠.الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر التحديد في الإتقان والتجويد. (ت: ٤٤٤) تحقيق أ. د غانم قدوري الحمد. دار عمار. عمان. الأردن، طبعة سنة ١٤٢١ هـ: ٢٠٠٠م.
٢١.الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط سنة١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م، (الطبعة: الأولى).
٢٢.الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد(ت:٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن تحقيق وضبط/ محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، لبنان، بيروت.
٢٣.رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، (الطبعة: الثالثة).
٢٤.سعيد أحمد العنتباوي، زِيْنَةُ الأَدَاء شرح حِلْيَة القراء، دار الفرقان، ط سنة ١٤٢٠هـ : ١٩٩٩م (ط/ الأولى).
٢٥.زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي،
(المتوفى: ٦٦٦هـ)،مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا،ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٦.سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب (المتوفى: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤٠٨ ه- ١٩٨٨ م، (الطبعة: الثالثة).

٢٧.شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) ، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢٨.شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، طبعة سنة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

٢٩.شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، طيبة النشرفي القراءات العشر، ضبطه وصححه وراجعه/محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية.

٣٠.شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، النشرفي القراءات العشر، ضبطه وصححه وراجعه/محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية.

٣١.صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط سنة ١٩٩٤م (الطبعة: ١٢).

٣٢.عبد البديع النيربانى، الجوانب الصوتية فى كتب الاحتجاج للقراءات. دارالغوثانى للدراسات القرآنية دمشق سوريا، ١٤٢٧هـ: ٢٠٠٦م، (الطبعةالأولى).

٣٣.عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، أصول علم العربية في المدينة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١٠٦ لسنة ١٤١٨هـ /١٩٨٨م، (الطبعة: السنة الثامنة والعشرون).

٣٤.عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الخانجى القاهرة، ط سنة ١٤٠٨هـ -١٩٨٧ م، (ط/ الأولى).

٣٥.عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن دوافعها ودفعها ، مكتبة وهبة، ط سنة١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (ط/ الرابعة) .

٣٦.عبد الفتاح القاضي، تاريخ المصحف الشريف طبع الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٣٧.عبد الله ربيع، أصوات العربية، والقرآن الكريم. منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب (المطبعة، وسنة الطبع غير مدون).

٣٨.علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول، القاهرة مصر، المكتبة الأزهرية للتراث، سنة النشر غير مدونة، (الطبعة الأولى).

٣٩.غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان. الأردن، ط الطبعة الثانية، لسنة ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.

٤٠.فريال زكريا العبد، الميزان في أحكام تجويد القرآن، دار الإيمان، القاهرة .
٤١.كحالة الدمشقي، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٤٢.محمد حبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دمشق، دار الفكر، ط سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م (الطبعة: الأولى).
٤٣.محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، حققه واعتنى به فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ الأولى، لسنة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م،
٤٤.محمد محمد بن سويلم أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط، الثالثة، لسنة ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
٤٥.محمد محمد محمد سالم محيسن، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، بيروت، دار الجيل، ط سنة١٤١٢ هـ :١٩٩٢ م، (الطبعة: الأولى).
٤٦.محمد مكي نصر نهاية القول المفيد، تصحيح الشيخ /علي الضباع، مطبعة الحلبي سنة ١٣٤٩هـ.
٤٧.محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط،الثانية، لسنة١٩٩٧.
٤٨.مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧)،التبصرة في القراءات السبع، تحقيق الدكتور المقرئ: محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية، الهند، ط/ الثانية١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.
٤٩.الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها، تحقيق د/ أحمد حسن فرحات، دار عمار،عمان، الأردن، ط، الثانية لسنة١٤٠٤هـ :١٩٨٤م.
٥٠.أ.د/ الموافي الرفاعي البيلي، مقدمة لدراسة القراءات القرآنية، ط سنة ١٤٢٢ هـ: ٢٠٠١م الأزهر الشريف كلية اللغة العربية بالمنصورة، لا توجد في هذه النسخة اسم المكتبة، (ط/الأولى).

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة:	٢٢٥
هدف الدراسة:	٢٢٨
خطة البحث	٢٢٨
التمهيد	٢٢٨
المبحث الأول: دلالة علم أصوات القرآن عند مكي	٢٣٠
المطلب الأول: اسم الكتاب (ودلالة عنوانه)	٢٣٠
المطلب الثاني مقدمته الرائعة	٢٣٤
المطلب الثالث في ثنايا مباحث هذا الكتاب وقضاياه	٢٣٥
المبحث الثاني: الرعاية (وبعض الوقفات)	٢٣٧
المطلب الأول: سبب تأليف كتاب الرعاية	٢٣٧
المطلب الثاني: شدة الحاجة إلى هذا العلم النظري ؛ لتطبيق تلاوة القرآن وإقامة حروفه كما أنزل بلسان فصيح	٢٣٨
المطلب الثالث: ذكر شبهة لبعضهم ويرد عليها في سبيل شدة الحاجة لهذا العلم	٢٣٩
المطلب الرابع :ذكر الحروف واحداً بعد واحد على ترتيب المخارج من داخل الفم إلى خارجه ــ مجوداً للفظ	٢٤٠
المطلب الخامس: يذكر أصولاً لا اختلاف فيها بين القراء (قضايا تجويدية)	٢٤١
المطلب السادس: أولويته وسبقه إلى هذا العلم (التجويد)	٢٤٣
المطلب السابع: مدة تصور الكتاب (الرعاية) حتى إخراجه	٢٤٣
المطلب الثامن: فائدة كتاب الرعاية	٢٤٣
الخاتمة	٢٤٤
أهم التوصيات	٢٤٥
المصادر والمراجع	٢٤٦
فهرس الموضوعات	٢٥٠